أقسام الضلالة وأسبابها و آثارها
(دراسة قرآنيّة تحليليّة تفسيريّة)

م.م أحمد نذير يحيى مزيداوي
جامعة المصطفى العالميّة / كلية التفسير و علوم القرآن

المستخلص:

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :((ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ))، إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الذي تكفّل بهداية جميع البشرية و كذلك تكفّل برسم الخطوط العامّة التي يجب أن تسير البشريّة طبقها و ذلك من أجل أن تصل إلى السعادة الدنيويّة والأخرويّة، ولهذا السبب خصّص الكثير من المتخصّصين في المجالات القرآنيّة والحديثية أوقاتهم و أعمارهم من أجل أن يصلوا إلى المعارف الكامنة في هذان المصدران الشريفان، لكي تقف هذه المعارف بجنب العقل والفطرة وتأخذ بيد الإنسان إلى الكمال الذي خُلِقَ من أجلِه، و في هذا البحث نتناول إحدى مفردات القرآن (الضلالة) دراسة تحليليّة تفسيريّة من خلال البحث على خمسة مطالب (الضلالة لغةً وإصطلاحاً، أقسام الضلالة، شبهة الإضلال ،أسباب الضلالة، وآثار الضلالة في القرآن الكريم)

الكلمات المفتاحيّة : الضلالة، الضلالة الفكريّة، الضلالة العمليّة، شبهة، القرآن، الإضلال.

The sorts and causes and effects of misguidance
(Interpretive analytical Qur'anic study)

Ahmed nadheer yhia mzedawee
Ahmedmzedawee@gmail.com
https://orcid.org/0009-0001-7664-6209

Abstract:

The almighty God said in His Book: ((This is the Book about which there is no doubt. A guidance for the righteous people)) The Holy Qur'an is the book that undertakes the guidance of all the humanity, and it also undertakes to draw the general lines that humanity must follow in order to reach the arthly and hereafter prosperity, and for this reason many specialists in the Qur'anic and Hadith fields have dedicated

their lives in order to reach the knowledge inherent in these two immaculate sources, so that this knowledge may stand beside reason and instinct in order to lead the human being to the perfection for which he was created, and in this research I address one of the words of the Qur'an (misguidance) as an analytical and interpretive study through research on five paragraphs (misguidance linguistically and terminologically, the types of misguidance, the doubt of misguiding, the causes of misguidance, and the effects of misguidance in the Holy Qur'an)

Key words: Misguidance, intellectual misguidance, practical misguidance, doubt, the Qur'an, misguiding.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، النبي المصطفى المختار، وعلى آله المصطفي و صحبه المنتجبين، وبعد:

القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي المعصوم، المليء بالعلوم والمعارف التي ينتفع منها البشر و يرتوي من ينابيعها، وهو الكتاب الذي يرسم للإنسان الخطة التي تهديه إلى صلاحه الدنيوي وصلاحه الأخروي، و يمدّه بالمعارف و العقائد والأحكام التي يحتاجها خلال هذه المسيرة التي سوف يقضيها في هذه الدنيا، وهو الكتاب الذي يذكّرنا بالأمم السابقة و يبيّن لنا الطرق التي ساروها و عواقبهم، من أجل أن تكون لنا عبرة نعتبرها خلال مسيرتنا الدنيويّة، إذا فالقرآن الكريم إنّما هو كتاب هداية و كتاب تعليم و كتاب تذكير، وفيه من العلوم والمعارف بمقدارٍ لا يستطيع أن يعدّه العادّون ولا يستطيع أن يصل إليه إلّا من هدى الله قلبه لذلك.

من الأمور المهمّة التي دعانا القرآن الكريم إليها، هو التدبّر و التفكّر على المستويات المختلفة، منها التدبّر في الخلائق والمظاهر التكوينيّة، والتدبّر في خلق الإنسان، والتدبّر في سلوك الأمم الماضية و عواقبهم، و كذلك التدبّر في آيات القرآن من أجل الإستفادة من التعاليم العالية والرفيعة الموجودة في هذا الكتاب العظيم الذي إعتُبِرَ كتاباً لهداية البشريّة إلى يوم القيامة.

ومن أهمّ الأمور التي يجب التطرّق إليها عند دراسة القرآن الكريم، هي دراسة مدلولات ألفاظ القرآن الكريم والكشف عن معانيها و رفع الستار عنها و الإجابة على الشبهات الموجودة حولها، وذلك لأنّ الألفاظ هي الأساس التي من خلالها نستطيع أن نصل إلى المعاني القرآنيّة السامية. ومن هذه الألفاظ هي لفظة (الضلالة) التي ذُكِرَت في القرآن الكريم مرّات عديدة و بصيغ مختلفة و نُسِبَت إلى جهات مختلفة، ونحن في هذه المقالة سوف نتطرّق إلى هذه اللفظة و مدلولاتها و بيان الأمور التي تدور حولها، وسوف نتطرّق إلى هذه اللفظة خلال خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: الضلالة لغةً وإصطلاحاً

المطلب الثاني: أقسام الضلالة

المطلب الثالث: شبهة الإضلال

المطلب الرابع: أسباب الضلالة

المطلب الخامس: آثار الضلالة

ومن الله التوفيق

المطلب الأوّل: الضلالة لغةً و إصطلاحاً

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمعاني مختلفة و متفاوتة، وهي:

1- ضالّ (وَ اِذا رَاَوْهُمْ قالُوا اِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ)[1]

2- أضلّ (اسم التفضيل) (اُولئِکَ شَرٌّ مَکاناً وَ اَضَلُ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ) [2]

3- إضلال (وَ اَضَلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى) [3]

4- تضليل (اَ لَمْ يَجْعَلْ کَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ) [4]

ذكر صاحب معجم لسان العرب: أنّ الضَّلالُ و الضَّلالةُ هي ضدُّ الهُدَى و الرَّشاد، و أنّ ضَلَلْتَ تَضِلُ هذه هي اللغة الفصيحة، و ضَلِلْتَ تَضَلُ ضَلالًا و ضَلالةً؛ و قال كراع: و يقول بنو تميم: ضَلِلْتُ أَضَلُ و ضَلِلْتُ أَضِلُ؛ و كذلك فقد ذكر اللحياني: أنّ أَهل الحجاز يقولون ضَلِلْتُ أَضَلُ، و أَهل نجد يقولون ضَلَلْت أَضِلُ، قال و قد قرئ بهما جميعاً قوله عز و جل: قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُ عَلى نَفْسِي؛ و أَهل العالية يقولون ضَلِلْتُ، بالكسر، أَضَلُ، و هو ضالٌ تالٌّ، و هي الضَّلالة و التَّلالة؛ و قال الجوهري: لغة نجد هي الفصيحة. [5]

وكذلك فقد ذكر صاحب معجم المحكم والمحيط الأعظم: الضّلالُ، و الضَّلَالةُ: ضد الهُدَى. ضَلِلَت تَضِلُ، هذه اللغة الفصيحةُ، و ضَلَلْتَ تَضِلَ ضَلالًا وَ ضلَالةً، و قال كراعٌ: و بنو تميمٍ يقولون: ضَلِلْتُ أَضَلَ، و قال اللحيانيُّ: أهلُ الحجازِ يقولون: ضَلَلتُ أضِلُ، و أهلُ نَجْدٍ يقولون: ضَلَلْتُ أَضَلُ. و قد قرأوا جميعاً «قُلْ إِنْ ضَلِلْتُ و ضَلَلْتُ»[6]

أمّا إصطلاحاً فقد ذُكِرّ أنّ الضلالة هى فقدان ما يوصل الى المطلوب و قيل هى سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب.[7]

وكذلك فقد قيل أنّ الضلالة: الهلاك؛ أي اختاروا ما به يهلكون على ما به نجاتهم. و إن كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة. [8]

و من ضل الطريق؛ إذا لم يهتد إلى الحق. سلوك طريق عمدا، لا يوصل إلى المطلوب الصحيح. مخالفة سنة الهدى، و العمل بخلافها، مطلقا، كما جرى بيان ذلك في قوله صلّى الله عليه و سلّم: و إيّاكم و محدثات الأمور، فإنّ كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة. [9]

وأمّا في القرآن الكريم فقد إستُخدمت لفظة الضلالة ومشتقاتها لمعانٍ خمسة، وهي كالتالي:

1- الضلالة التي تكون نتيجة الكفر، حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم :((أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)) [10]

فهنا نجد أنّ من نتائج ترك الإيمان والإتّجاه نحو الكفر هو الضلال.

2- الضلالة التي تكون نتيجة لمطلق المعصية، قال تعالى :((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)) [11]

3- الضلالة بمعنى البطلان، قال تعالى:((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)) [12]، في هذه الآية إستخدُمت إحدى إشتقاقات لفظة الضلالة وهي (ضلَّ) بمعنى بطلان جميع أفعالهم التي كانوا يظنّون أنّها أفعال حسنة.

4- الضلالة بمعنى الغياب والفقدان، قال تعالى:((قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)) [13]

5- الضلالة بمعنى الخطأ الناشئ من النسيان أو عدم العلم، قال تعالى :((قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)) [14].

المطلب الثاني: أقسام الضلالة

تنقسم الضلالة من حيثيّات مختلفة إلى أقسام مختلفة، فمن حيثيّة ما تنقسم إلى الضلالة الإبتدائية والضلالة الإختياريّة، و من حيثية أخرى تنقسم إلى الإضلال الإلهي و الإضلال البشري، و من حيثيّة ثالثة تنقسم إلى الضلالة الفكرية أو العقائدية و الضلالة السلوكية أو العملية، و سنقوم ببيان هذه التقسيمات في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

الحيثيّة الأولى: الضلالة الإبتدائيّة والضلالة الإختياريّة

الضلالة الإبتدائية: المراد من هذه الضلالة هي الضلالة التي يولد عليها الإنسان قبل أن يتلقّى العلوم و قبل أن يتعرّف على العالم الخارجي، فالإنسان عندما يولد و يأتي إلى هذا العالم، يأتي من دون إطّلاع بالعلوم والمعارف الإلهيّة، فيأتيه اللطف الإلهي و تتحرّك فيه الفطرة، وتبدأ حواسه بالنمو و عقله يبدأ بالتكامل، فيدرك شيئاً فشيئاً الأمور التي تجري حوله، وتبدأ عنده بعض التسائلات التي هي أساس تكوين المعرفة عنده، لأنّ التساؤلات هذه هي التي تقوده نحو إكتساب المعارف.

الضلالة الإختياريّة: المراد من هذه الضلالة هي الضلالة التي يختارها الإنسان بنفسه عندما تتكامل قواه الحسّيّة والعقلية، فيشعر بجميع الأمور و تتكامل عنده التساؤلات، فالإنسان في هذه المرحلة إمّا أن يبدأ بالسؤال و يصل إلى الأجوبة التي تهديه إلى الصراط المستقيم، أو أنّه يترك الإجابات و يفضّل العيش من دون معرفة الخالق و من دون معرفة المبدأ والمقصد و الهدف الذي من أجلِه خُلِق، فهذه هي الضلالة الإختياريّة.

الحيثيّة الثانية: الإضلال البشري والإضلال الإلهي

الإضلال البشري: المراد من هذا الإضلال هو الإضلال الذي يكون مصدره البشر، فهنالك الكثير من الضالّين المضلّين، و قد ذكرنا في المطلب الخامس أنّ من آثار الضلالة هي الإضلال، فهؤلاء الأشخاص الذين تصيبهم الضلالة سوف يبحثون عن أشخاص يتأثّرون بهم كي يحملوا أفكارهم من أجل أن لا يكونوا وحيدين في هذه الدنيا، فالضلالة التي يكون البشر مصدرها تكون من هذا القسم.

الإضلال الإلهي: الإضلال الإلهي هو تلك المرتبة المتقدّمة التي تصيب الإنسان عندما ينغمس في المعاصي و يذوب فيها، ويرجّح طريق الباطل على الطريق الصواب، فحينئذ سوف يعتاد على تلك المعاصي و لا يراها قبيحة و هذا يكون بحسب خِلقَتِه، لأنّ الله تعالى خلق الإنسان بطريقة يتعوّد على الأمور التي يقوم بتكرارها دائماً و يستأنس بها، فمن هذه الجهة ينسب الإضلال إلى الله تبارك وتعالى لأنّه خلق الإنسان بهذه الطريقة، وكذلك لأنّه كل ماهو موجود في هذا العالم فهو يُنسَب إلى الله تعالى لأنّه هو الواجب و ما سواه ممكن، و كذلك فإنّ الله تعالى عندما يرى أنّ العبد لا يريد أن يطيع مولاه و يريد أن يختار طريق الضلالة، فالله تعالى يتركه على حاله و بذلك يتدخّل الشيطان و يأخذ بيد العبد إلى متاهات الدنيا و أسفل مقاماتها.

إذاً فالإضلال ينسب إلى لله تعالى أوّلاً لأنّه تبارك وتعالى هو الواجب و ثانياً لأنّه خلق الإنسان بطريقةٍ يتعوّد الإنسان على أفعاله وثالثاً لأنّه يترك الأشخاص عندما يذوبون في المعاصي و يرجّحون بإختيارهم طريق الضلالة على طريق الحقّ.

الحيثيّة الثالثة: الضلالة الفكرية والضلالة العمليّة

الضلالة الفكرية: المراد من الضلالة الفكرية هو الضلالة في العقائد و الأفكار على مستوى العقل و التصوّر والتصديق، أي أنّ الأشخاص الذين لا يبحثون عن الحقيقة أو الأشخاص الذين يختارون جنود الشيطان كي يدرّسوهم الأباطيل ولا يتّبعون أئمّة الهدى و لا يأخذون منهم المعارف، هؤلاء الأشخاص سوف يمتلئون بالأفكار الباطلة والعقائد المزيّفة.

الضلالة الفكرية من الممكن أن تكون بسبب إتّباع أئمة الكفر وكذلك من الممكن أن تكون بسبب النسيان أو ما شابه ذلك، ففي هذه الحالات سوف تكون الضلالة على مستوى الفكر والعقائد، وهي بدورها ستقود الإنسان إلى الضلالة العمليّة لا محالة.

الضلالة العمليّة: المراد من هذه الضلالة هو تلك الضلالة التي تكون على مستوى الأفعال والسلوك، فهناك من الأشخاص من لا يريدون أن يقوموا بالأفعال الصالحة و إنّما يذهبون إلى المحرّمات والسلوك الباطلة، والضلالة العمليّة من الممكن أن تكون مسبوقة بالضلالة الفكرية، ومن الممكن أن لا تكون كذلك، كما تقول الآية الكريمة:((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)) [15]، ففي هذه الحالة تكون النفس مطمئنّة بأنّ هذا العمل هو مخالف للصواب لكنّها تختار أن العمل القبيح على العمل الصحيح لمصلحةٍ زائلة أو ما شابه ذلك.

المطلب الثالث: شبهة الإضلال:

من الشبهات التي كثيراً ما تُذكَر من قِبَل بعض الأشخاص للتقليل من شأن القرآن الكريم، وبيان وجود الظلم فيه، هي شبهة الإضلال، وهي الشبهة التي حصلت للبعض نتيجةً لنظرهم السطحي و عدم معرفة تفسير آيات القرآن الكريم، حيث أنّ هؤلاء الأشخاص عندما وصلوا إلى الآيات التي تقيّد الهداية والضلالة بالمشيئة الإلهية، مثل آية :((يُضِلُّ مَنْ يَشَاء وَيَهدِي مَنْ يَشَاء)) [16]، ظنّوا أنّ هنالك إجبارٌ في مسئلة الهداية والضلالة و هذا ينافي العدالة الإلهية.

وسنحاول في هذا المطلب أن نعطي إجابة شافية على هذه الشبهة، بحيث لا يبقى محل إشكال في الموضوع.

هنالك عدّة أمور علينا أن نلتفت إليها قبل أن نأتي لحلّ هذه الشبهة، وهي كالتالي:

الأمر الأوّل: المشيئة الإلهيّة ليست كالمشيئة البشريّة

المشيئة البشرية ترتبط بأحاسيس البشر و عواطفهم وغرائزهم و خلفيّاتهم الفكرية والعقائدية و ما شابه ذلك من الأمور، ولذلك فإنّنا نرى أنّه في الكثير من الأحيان تكون نتائج المشيئة الإنسانيّة هي نتائج خاطئة و مضرّة و فيها الكثير من المفاسد.

لكن المشيئة الإلهيّة تختلف تماماً، وذلك لأنّها نتيجة العلم التامّ و نتيجة الحكمة التامّة ونتيجة العدل الإلهي، ولذلك فهذه المشيئة سوف لن تكون إعتباطيّة كما يتصوّرها البعض، و إنّما هي نتيجة مرتبطة و متناسقة تمام التناسق مع العلم الإلهي و الحكمة الإلهيّة والعدل الإلهي.

الأمر الثاني: الإنسان يعتاد و يستأنس بأفعاله طبقا لخلقته

الإنسان عندما يقوم بفعل سيّء، يستوحش من ذلك الفعل و يستقبح ذلك الفعل في أوّل مرّة، وعندما يكرّر هذا الفعل يقلّ عنده قبح الفعل و لا يستوحش منه كثيرا بعد التكرار الكثير، ويصل هذا التكرار إلى درجة أنّ الإنسان أصلا لا يستقبح ذلك الفعل و إنّما يراه أمر عادي، كما نرى ذلك بالنسبة إلى الكثير من الذين يرتكبون المعاصي كثيراً، نجد أنّهم بعدما يقوموا بتكرار ذلك الفعل لسنوات، يكادون لا يرون ذلك الفعل قبيحاً و لا يستوحشون منه، لأنّهم إستأنسوا بذلك الفعل، تقول الآية الكريمة :((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)) [17] ، فهنا تذكر الآية أنّهم لا يرجعون، وعدم الرجوع سببه هو أنّهم لا يرون المنكر منكراً، بل و يصل الإنحطاط إلى أكثر من ذلك، وهو أنّهم سيرون المنكر معروفاً، وعندما يصل الشخص إلى هذه الدرجة من الضلالة، سوف يصعب رجوعه إلى الطريق الحقّ، قال الله تعالى في كتابه الكريم :((وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ)) [18].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأفعال الحسنة، فالشخص الذي يعتاد على أمر حسن، مثل الإنفاق أو إقامة الصلاة أو ماشابه ذلك من المحاسن و الأفعال حسنة والمستحبّات، فهذا الشخص يستوحش عندما يترك أحد هذه الأفعال، فيعود إليها بسرعة.

وهذا الأمر، أي الإستئناس بالأفعال التي تتكرّر كثيراً، إنّما هو من الأمور التكوينيّة التي فُطِرَ الإنسان عليها، ومن الممكن أن تكون هذه هي أحد تفاسير المشيئة الإلهيّة في مسئلة الإضلال و الهداية، حيث أنّ الله تعالى بخلق الإنسان على هذه الطريقة، جعل الذي يريد الضلالة ضالّاً والذي يريد الهداية مهتدياً.

الأمر الثالث: تفسير الآيات بعد جمع القرائن المنفصلة والمتّصلة

من الأمور التي يجب الإلتفات إليها عند تفسير آية من آيات القرآن الكريم، هي القرائن المتّصلة والمنفصلة والدخيلة بنحوٍ ما أو مرتبطة بالآية المراد تفسيرها. ففي كثير من الأحيان تبيّن لنا الآيات الأخرى، المراد من الآية التي نحن بصدد تفسيرها.

ففي هذا المثال أيضاً يجب أن نرجع إلى القرائن الأخرى الموجودة في تلك الآية أو الآيات الأخرى كي نعرف أنّه ما هو المراد من المشيئة الإلهيّة.

فمثلا في سورة النحل :((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) [19]هنا نجد أنّ الآية الكريمة في ذيلها تشير إلى أنّ السؤال سوف يكون عن الأعمال، أي أنّ الضلالة والهداية مرتبطة تمام الإرتباط بأفعال الإنسان، وهذه هي المشيئة الإلهيّة، لأنّ الله تبارك و تعالى شاء أن ترتبط الأعمال بنتائجها، لا أن يعاقب المرء و يُثاب من دون عمل.

الأمر الرابع: الله تبارك وتعالى هو الواجب و ما سواه هـ الممكن

من المسائل المهمّة التي يجب أن نلاحظها هو أنّ الله تبارك و تعالى هو الواجب الوجود، وما سواه ممكن الوجود، أي أنّ الجميع يستمدّون وجودهم و جميع قواهم من الله تعالى لأنّه هو المصدر الأساسي لإفاضة الوجود، و من الممكن أن يكون المراد من إنتساب الإضلال إلى الله تبارك و تعالى هو من هذه الجهة، لأنّه ليس من الممكن أن يصدر أيّ فعلٍ من أيّ شخص إلا بإذن الله تبارك و تعالى.

فالله تعالى شاء للإنسان أن يكون مختاراً حتّى ولو سلك مسلك الباطل فإنّ الله تعالى يرشده إلى الصواب عن طريق العقل و الفطرة والأنبياء و القرآن و أئمّة الهدى و الآيات الكونية، لكنّ الذي يريد أن يذوب في المعاصي فالله تعالى لا يمنعه من ذلك، لأنّه تبارك و تعالى أراد للإنسان أن يكون مختاراً، و من الممكن أن يكون هذا هو المراد من الإضلال الإلهي، لأنّه لا شيء في هذا الكون إلا و يُنسَب إلى الله تبارك وتعالى.

حلّ الشبهة:

بعد أن تطرّقنا إلى الأمور الأربعة المذكورة أعلاه، نأتي الآن إلى جواب الشبهة:

المراد من المشيئة الإلهيّة هو أنّ الله تعالى شاء للإنسان أن يستأنس و يتعوّد و يتطبّع وفقاً للأفعال التي يقوم بها و يكرّرها يوميّاً ، ولذلك فالمشيئة في هذه الآية يبدو أنّ المراد منها هو تلك الصفة التي لاحظها الله تعالى في خلق الإنسان و التي طبقاً لها، تساعد الخلقة على أن يسير الضال بإتجاه الضلالة و المهتدي بإتّجاه الهداية ، أي أنّ

الإنسان يختار بنفسه الطريق، ثمّ عند سيره فيي هذا الطريق يعتاد و يتطبّع على ذلك الطريق لأن الله تعالى خلقه بهذه الصفة.

وهذه النتيجة تُستَفاد من جمع الآيات المرتبطة بالمشيئة الإلهيّة و كذلك الآيات التي تدلّ على عميان البصر عند الغوص في الذنوب وكذلك الآيات التي تشير إلى أنّ الشيطان يزيّن الأفعال القبيحة والسيّئة للأشخاص، فيرتكبونها من دون أن يروها قبيحة، وذلك لأنّ القبح عندهم قد سقط نتيجةً لتكرار تلك المعصية لمرّات كثيرة.

وعند ملاحظة آيات القرآن الكريم نجد أنّ الله تعالى في بعض الآيات يقيد الضلال بمشيئته، وفي آيات أخرى يقيّد الضلال بإرتكاب السيّئات، كما في قوله تعالى:((كذلک يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِف مُرتاب)) [20]، وكذلك الآية الكريمة :((كَذلکَ يُضِلُّ اللهُ الْكافِرِينَ)) [21]، فعندما نجمع بين هتين الآيتين، نصل إلى نتيجة و هي أنّ الله تعالى شاء أن ترتبط الضلالة بالأفعال السيّئة، والهداية بالأفعال الحسنة، و أنّ هذا هو عين العدل الإلهي و لا يخالف العدل الإلهي بأيّ وجهٍ من الوجوه.

وكذلك لا ننسى أن الشخص الذي يذهب بإتّجاه المعاصي سوف يكون في أجواء خالية من الرحمة و خالية من العناية الإلهية، سوف يخرج من ساحة الملائكة إلى ساحة الشيطان، فيتعوّد على تلك الحالة التي هو فيها و بذلك يكون ضالّاً.

المطلب الرابع: أسباب الضلالة:

بعد إستقراء آيات القرآن الكريم نصل إلى أنّه هنالك عوامل عديدة و متنوّعة جدّاً تؤثّر في شقاء الإنسان وتقوده إلى الضلالة، قد ذكرها القرآن الكريم بإعتباره كتاباً للهداية، كي يتجنبّها الإنسان و يصل بذلك إلى الهدف السامي الذي خُلِق من أجله الإنسان، ألا وهو العبودية لله تبارك و تعالى.

يمكن تقسيم العوامل التي تؤدّي إلى شقاء الإنسان وتقوده نحو الضلالة، إلى خمسة أقسام، سوف سنتطرق خلال هذا المطلب إلى هذه الأقسام، و نذكرها مع ذكر الشواهد القرآنيّة عليها.

العامل الأوّل: الشيطان

من أهمّ العوامل المؤثرة في شقاء الإنسان و إنغماسه في المعاصي هو الشيطان، والشيطان يصل إلى هذه الغاية عبر إغواء الإنسان نحو إرتكاب المعاصي، تقول الآية الكريمة :((قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)) [22]، في هذه الآية دلالة واضحة على أنّ الشيطان هو من أهمّ العوامل التي تؤدّي بالإنسان إلى الضياع والضلالة.

والشيطان يصل إلى هدفه هذا عن طريق وسائل متعدّدة وطرق مختلفة، من هذه الطرق إغواء الإنسان نحو سماع الأغاني، لأنّها من لهو الحديث وتسبّب حالات روحية معيّنة تقود الإنسان نحو الضلال و تبعده عن الحقيقة والواقع الذي يعيش فيه، أو أمره بقطع صلة الرحم، و ما شابه ذلك من المعاصي التي تبعد الإنسان عن الساحة الروحانيّة الإلهيّة، وتدخله في ساحة الشيطان.

العامل الثاني: النفس الأمّارة

النفس الأمّارة هي أيضاً من أخطر العوامل التي تستطيع أن تقود الإنسان نحو الضلال و الطغيان، ففي القرآن الكريم هنالك شواهد متعدّدة على أنّ النفس الأمّارة تستطيع أن تجعل الإنسان يرتكب معاصي لم يكن يتصوّرها أبداً، ففي الآية الشريفة :((وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ)) [23] ، ففي هذه الآية دلالة واضحة على أنّ إخوة يوسف سوَّلَت لهم أنفسهم أمراً، فأخذوا بأخيهم و ألقوه في الجبّ، وكذلك الآية الشريفة :((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ)) [24] ، حيث أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ النفس من الممكن أن تقود الإنسان إلى إرتكاب أكبر المعاصي كقتل الأخ، أو ما شابه ذلك من المعاصي.

العامل الثالث: البِدَع

من العوامل الأخرى التي تستطيع أن تقود الإنسان نحو الضلالة والخسران هي الإتيان بالبِدَع في الدين، وإضافة أمور إلى الدين لَم تَكُن موجودة فيه طبقاً للهوى، حيث يقوم هؤلاء الأشخاص بتحريم ما أحلّ الله و تحليل ما حرَّم الله تعالى و ينسبون هذا الحلال و الحرام الذي أتوا به من عند أنفسهم إلى الله تبارك و تعالى، حيث تقول الآية الشريفة :((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)) [25] ، فهناك دلالة واضحة على أنّ العرب في الجاهلية كانوا يقتلون بناتهم و يُحَرِّمون عليهنَّ ما أحلّ الله لهنّ، وبذلك كانوا قد ضلّوا ولم يكونوا من المهتدين.

العامل الرابع: التقليد الأعمى

العامل الآخر الذي له أثره الكبير في إخراج النّاس من الطريق الحقّ إلى طريق الضلالة والبطلان هو التقليد الأعمى، والتقليد الأعمى يشمل أمور متعدّدة، منها إتّباع الآباء من دون العلم بصحّة عقائدهم أو خطئها، حيث قالت الآية الشريفة :((وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ)) [26] يقول صاحب تفسير لطائف الإشارات في ذيل هذه الآية الشريفة: لا ترفع أبصارهم عن أشكالهم و أصنافهم، من أضرابهم و أسلافهم، فبنوا على منهاجهم، فلا جرم انخرطوا فى النار، و انسلكوا فى

سلكهم، و لو علموا أن أسلافهم لا عقل يردعهم، و لا رشد يجمعهم لنابذوهم مناصبين، و عاندوهم مخالفين، و لكن سلبوا أنوار البصيرة، و حرموا دلائل اليقين. [27]

وكذلك فإنّ التقليد الأعمى يشمل إتّباع أكثر الناس أو إتّباع أشخاص إكتسبوا قدسية من طرق غير عقلائية و غير مشروعة، فكل هذه الإتّباعات التي لا تبتني على عقلانيّة، لن تكون لها شرعيّة، و إنّما يجب أن يأمرنا العقل بإتّباع المصادر المعصومة من الخطأ بعد أن يثبت أنّها معصومة من الخطأ، و إلّا فإتّباعها لا يكون إلّا ظنيّاً، وفي الكثير من الموارد يكون هؤلاء الأشخاص ذوو نفع و يقودون الإنسان إلى الهاوية والضلالة.

العامل الخامس: إتّباع الظن

العامل الخامس والأخير هو إتّباع الظنّ، وقد دلّت على ذلك آيات متعددة، منها قوله تعالى :((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)) [28]، فهذه الآية تدلّ بوضوح على عدم جواز إتّباع الظنّ، وذلك لما له من مفاسد و آثار سيّئة على البشريّة، فكم من الصراعات والمشاكل التي حصلت خلال التاريخ كانت بسبب إتّباع الظن و عدم الإعتماد على العلم القطعي، في حين أنّ تحصيل العلم القطعي كان ممكناً، ولهذا فإنّ إتّباع الظن هو أيضا من الأمور التي تقود الإنسان نحو الهاوية والضلالة والخسران، تقول الآية الشريفة:((وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)) [29] ، ففي هذه الآية وُضع الحق مقابل الظن، أي أنّ إتّباع الظن لا يجعل الإنسان يصيب الحقّ في أكثر الموارد التي يمكن فيها الوصول إلى العلم القطعي

ملاحظة1: ليس المراد هنا عدم إتّباع جميع الظنون، حيث أنّنا في كثير من الموارد و في كثير من شئون الحياة نرجع إلى المتخصّصين الذين ليسوا بمعصومين، ونقبل كلامهم ونأخذ بنصائحهم، وذلك لأنّنا ليس لدينا طريق آخر لإصابة الحق، ففي هذه الموارد، أقرب طريق إلى الحقّ هو إتّباع هذا النوع من الظن، وهذا الظنّ إنّما هو ظنٌّ ممدوح و ليس مذموم، و عليه قامت سيرة النبي (ص) و أهل بيته و أصحابه.

ملاحظة2: هنالك الكثير من العوامل الأخرى التي تستطيع أن تأخذ بيد الإنسان إلى الضلالة، ونحن ذكرنا هنا خمسة من أهم هذه العوامل، لكن المتتبّع لآيات الذكر الحكيم يستطيع أن يستنبط الكثير من العوامل الأخرى التي من الممكن أن ترتبط بنحوٍ ما بالعوامل التي تمّ ذكرها في هذا المطلب.

المطلب الخامس: آثار الضلالة

هنالك الكثير من الآثار التي تترتّب على الضلالة، ذكرها القرآن الكريم، ونحن سنقوم بعرضها في هذا المطلب و نذكر الشواهد القرآنيّة عليها، وهي كالتالي:

1- الضلالة الأخرويّة

من الآثار المترتّبة على الضلالة الدنيويّة هي الضلالة الأخروية، وقد دلّت على هذه الحقيقة الآية الكريمة:((وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا)) [30] إسراء 72، فقد دلّت هذه الآية على أنّ من

الشخص إن كان أعمى و ضال في هذه الدنيا فحتماً سيكون ضالّ في الآخرة، وذلك لأنّ الدنيا هي مزرعة الآخرة، و كل ما يُحصَد في تلك النشئة قد زُرِع في هذه النشئة.

2- الإضلال

من الآثار الأخرى للضلالة في هذه الدنيا هو الإضلال، حيث أنّ الأشخاص الذين تصيبهم الضلالة نتيجة لأفعالهم في الدنيا، من الممكن أن يصيروا ضالّين لأشخاص آخرين، و قد دلّت على هذه الحقيقة الآية الشريفة:((قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ)) [31]، حيث أنّ الآية تدلّ بوضوح على أنّ القوم الذين ضلّوا، أضلّوا أشخاصاً آخرين، وربّما يكون ذلك لسبب أنّهم لا يريدون أن يكونوا وحيدين في هذه الدنيا، ويبحثون عن أشخاص آخرين يحملون نفس أفكارهم و يسلكون نفس سلوكهم، لذلك يحاولون أن يدخلوا أشخاصاً آخرين في الضلالة.

3- الإعراض عن ذكر الله

من الآثار المترتّبة على الضلالة في الدنيا، هي الإعراض عن ذكر الله، قال الله تعالى في كتابه الكريم:((فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(29) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ))[32] قال الطوسي في ذيل هذه الآية الشريفة: ثمّ قال الله تعالى للنبيّ (ص) أن أعرض يا محمد عن الأشخاص الذين تولّوا عن ذكرنا و لَم يقرّوا بتوحيدنا وجحدوا بنبوّتك و مالوا إلى الدنيا و منافعها والتمتّع فيها، والمراد هنا عدم مقابلتهم بالمثل وتحمّلهم، ولَم يُنْهَ النبيّ (ص) عن تذكيرهم و وعظهم، والمراد من (ذلك مبلغهم من العلم) هو أنّ علمُهم إنتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة وهو صغير حقير في مقابل نفع الآخرة، ولكنّهم طلبوا هذا النفع الدنيوي البسيط وتركوا نفع الآخرة الأبدي، والمراد بـ(من ضلّ عن سبيله) هو من جار وعدل عن طريق الحق الذي هو سبيل الرحمن. [33]

4- الإهانة من الله تعالى

من الآثار المترتّبة على الضلالة الدنيويّة إنّما هي الإهانة من قِبَل الله تعالى في الآخرة، و المراد من هذه الإهانة إنّما هو عدم تكليم هؤلاء الأشخاص الضالّين و عدم تقبّل أعذارهم وعدم شمول الرحمة لهم، تقول الآية الكريمة:((قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ(106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)) [34] ، نجد في هذه الآية كم سيكون أولئك الضالّون مهانون في الحياة الآخرة، ولا تقبل توبتهم ولا تنالهم الشفاعة ولا الرحمة الإلهيّة.

5- إتّباع الآيات المتشابهة

الأثر الآخر الذي يترتّب على الذين تصيبهم الضلالة في هذه الدنيا هو أنّهم يتّبعون قدر الإمكان الآيات المتشابهة وذلك من أجل يأتوا بفتنة أو يفسّروها حسب هواهم و بذلك يستطيعون أن يفتروا على الله تعالى و ينسبوا

تفاسير إلى الكتاب و لكنّها ليست من الكتاب، تقول الآية الكريمة :((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ)) [35].

6- التشكيك حول القيامة

من الآثار التي تظهر على الأشخاص الذي يتّبعون طريق الضلالة، هو أنّهم يشكّكون في مسألة الآخرة و المعاد و لا يؤمنون بها، أو أنّهم يؤمنون بها لكنّهم ينكرونها بألسنتهم، تقول الآية الكريمة :((أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ)) [36]، يقول صاحب تفسير الأمثل في هذه الآية الشريفة:

لأن نظام هذا العالم يعتبر- بحد ذاته- دليلا على أنّه مقدمة لعالم آخر و بدونه سيكون خلق هذا العالم عبثا و ليس له أي معنى، و هذا لا يتناسب مع حكمة الخالق و لا مع عدالته، و تشير عبارة (ضلال بعيد) إلى أنّ الإنسان قد يضل الطريق أحيانا، إلّا أنّه لا يبتعد عنه كثيرا، و بقليل من البحث و الجهد يمكنه أن يكتشف الطريق و أحيانا يكون البعد كبيرا جدا بحيث يصعب- أو يستحيل- عليه العثور على الطريق مرّة اخرى[37]. و الطريف في الأمر أنّنا نقرأ في حديث عن النّبي الأكرم صلّى الله عليه و اله و سلّم: «سأل رجل رسول الله في إحدى سفراته و بصوت مرتفع: يا محمّد ...، فأجابه الرّسول صلّى الله عليه و اله و سلّم و بصوت مرتفع مثل صوته «ما تقول؟»، قال الرجل: متى الساعة؟ قال الرّسول صلّى الله عليه و اله و سلّم: «إنّها كائنة فما أعددت لها؟»، قال الرجل: حبّ الله و رسوله! قال الرّسول صلّى الله عليه و اله و سلّم: «أنت مع من أحببت».[38]

7- تكذيب الآيات

من الآثار التي يتحلّى بها أولئك الأشخاص الذين أصابتم الضلالة في الحياة الدنيا هي أنّهم يكذِّبون الآيات الإلهيّة و ينكرونها، كلّ ما أتتهم آية كذّبوها و كذّبوا الأنبياء الذين أتوا بتلك الآيات و تشير إلى هذه الحقيقة الآية الكريمة :((أَ لَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ • قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ)) [39]، يقول صاحب الميزان في ذيل هتين الآيتين الشريفتين: و قد عدوا أنفسهم مغلوبة للشقوة فقد أخذوها ساذجة في ذواتها صالحة للحقوق السعادة و الشقاوة غير أن الشقوة غلبت فأشغلت المحل و كانت الشقوة شقوة أنفسهم أي شقوة لازمة لسوء اختيارهم و سيئات أعمالهم لأنهم فرضوا أنفسهم خالية عن السعادة و الشقوة لذاتها فانتساب الشقوة إلى أنفسهم و ارتباطها بها إنما هي من جهة سوء اختيارهم و سيئات أعمالهم. [40]

8- الخسران

من الآثار التي تصيب الأشخاص الذي ساروا مسار الضالّين و سلكوا مسالكهم، إنّما هو الخسران، وهذا الخسران هو الذي سوف يفني حياتهم الدنيويّة والأخرويّة، حيث أنّهم سوف لن يسلكوا طريق الحق و بذلك سوف

يكونوا في سلك الباطل الذي يأتي بالراحة النفسيّة والإطمئنان والسكينة إلى قلب الأشخاص، و في الآخرة سوف لن ينالوا خيراً، لأنّ الدنيا هي مزرعة الآخرة، فبما أنّهم قد زرعوا الآثام والمعاصي، فلن ينالوا إلى جهنّم، وتشير إلى هذه الحقيقة الآية الكريمة:((لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ)) [41] يقول الطبراني في تفسير هذه الآية الشريفة: أنّ المراد من (سقط في أيديهم و رأوا أنّهم قد ضلّوا) هو الندامة على عبادة العجل، أي أنّهم ندموا من عبادتهم العجل و رأوا أنّهم قد ضلّوا عن الحق فقالوا؛ أنّ الله تعالى لو لم يرحمنا ويغفرنا لنا عملنا هذا لنكونّن من الخاسرين بالعقوبة[42]

9- خفّة الميزان يوم القيامة

من الأمور التي يتورّط بها الذين سلكوا مسلك الضلال و طريق الخسران، هو خفّة الميزان يوم القيامة، حيث أنّ هؤلاء الأشخاص لم يقوموا ببناء آخرتهم في دنياهم ولذلك فليس لهم حظٌّ في الآخرة، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة :((وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ • تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيها كالِحُونَ • أَ لَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ • قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ)) [43] تبيّن هذه الآيات بوضوح كيف أنّ أصحاب الضلالة والقوم الذين يعترفون بأنّهم كانوا ضالّين، تكون موازينهم خفيفة ولا ينالهم خيرٌ في الآخرة لأنّهم لَم يعملوا لذلك في دنياهم، بل إتبعوا منهج الضلالة، لمصالح دنيويّة سريعة الزوال.

10- الحيرة

من الآثار المترتّبة على الضلالة الدنيوية هي الحيرة، حيث أنّ الآيات الكريمة تشير إلى أنّ الذين يصيبهم الضلال، سوف لن يستطيع أي شخص أن يهديهم و يرشدهم، لأنّ طريق الحقّ واحد، فعندما يخرج الشخص عن طريق الحق و الصواب، فلا يكون إلّا الضلالة والعميان، كما في قوله تعالى :((مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) [44] يقول صاحب تفسير جامع البيان في ذيل هذه الآية الشريفة أنّ إعراض هؤلاء الأشخاص الذين قاموا بتكذيب الآيات، والذين تركوا النظر في حجج الله و التفكر فيها هو بسبب إضلال الله تعالى لهم و لو أنّ الله تعالى هداهم لاعتبروا و تدبروا في آيات الله ولأبصروا رشدهم، ولكن الله تعالى أضلهم فلم يستطيعوا أن يبصروا رشدا و لا يهتدوا سبيلا، والذي تصل إليه الضلالة الإلهيّة فلا هادي له. [45]

أقول: لأنّه إختار بنفسه أن يتمادى في المعاصي، فوصلت به المعاصي إلى درجة أنّه لم يكن يعتبرها سيّئة وهذا هو إضلال الله تعالى له، لأنّه لا فعل يقع في الكون إلّا ويُنسَب إلى الله تعالى من جهة كونه هو الواجب وغيره يستمدّ الوجود منه.

11- الطغيان

واحدة من الأمور التي تصيب الأشخاص الذين يختارون الضلالة على الهدى هو الطغيان، والطغيان يأتي لأنّ المعاصي لها مراتب، و عندما يتعوّد الشخص على إحدى هذه المراتب ينتقل إلى مرتبة أخرى، حيث أن الشيطان لا يتوقف عند حدٍ ما مع الأشخاص، و إنّما يريد أن يذهب بهم إلى أدنى المراتب و أسفل المقامات، ولا يكتفي بالذنوب

الصغيرة، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة :((قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَ لكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ)) [46] يقول صاحب تفسير بحر العلوم في هذه الآية الشريفة: قَرِينُهُ يعني: شيطانه رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ يعني: لم يكن لي قوة أن أضله وَ لكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ يعني: في خطأ طويل بعيد عن الحق. [47]

ملاحظة: المتتبّع للآيات القرآنيّة الكريمة يستطيع أن يعثر على الكثير من الآثار الأخرى للضلالة، ونحن ذكرنا هنا بعضاً من أهمّ تلك الآثار حفاظاً على الإختصار الذي يجب أن يلحظ في المقالة.

الخاتمة:

دراسة الألفاظ القرآنيّة من جهات مختلفة تعتبر ضرورة لابدّ للمتخصّصين في الدراسات القرآنيّة أن يتطرّقوا إليها بالتفصيل، وذلك لأنّ هذه الألفاظ هي الألفاظ التي منها تُستَخرَج العلوم والمعارف السامية والعالية المكنونة في القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية لجميع البشرية وهو المعجزة الخالدة للنبي الأكرم (ص).

من هذا المنطلق قمنا في هذا البحث بإختيار لفظة تكرّرت كثيراً في آيات الذكر الحكيم، و ربّما فيها بعض الشبهات من بعض الجهات، وهي لفظة (الضلالة) التي قمنا بدراستها من جهات وحيثيّات مختلفة كي نكشف الستار عنها.

حيث قمنا في المطلب الأوّل من هذه المقالة ببيان المعاني اللغوية والإصطلاحية لهذه اللفظة و كذلك ذكرنا معاني هذه اللفظة في القرآن الكريم، ثمّ في المطلب الثاني تطرّقنا إلى أقسام الضلالة و بيّنّا أنّها تنقسم من حيثيّات ثلاثة إلى عدّة أقسام، فمن حيثية هي تنقسم إلى الضلالة الإلهية والضلالة البشريّة، و من حيثيّة تنقسم إلى الضلالة العقائديّة والضلالة العمليّة أو السلوكيّة، ومن حيثيّة أخرى تنقسم إلى الضلالة الإبتدائيّة والضلالة الإختياريّة، ثمّ بعد ذلك في المطلب الثالث تطرّقنا إلى شبهة الإضلال وهي التي كثيراً ما يُتَطَرَّق إليها و تُطرَح كإحدى الشبهات على القرآن الكريم، وبيّنّا تفاصيلها و رفعنا الإبهام عنها، ثمّ في المطلب الرابع ذكرنا العوامل والأسباب التي تأخذ بيد الإنسان إلى الضلالة و قسّمناها إلى خمسة أقسام، وفي المطلب الأخير ذكرنا بعض آثار الضلالة التي ذكرها القرآن الكريم وإستشهدنا عليها بالشواهد القرآنيّة و بيّنّا الآراء التفسيريّة حول بعض تلك الآيات.

1- سورة المطففين، الآية 32.

2- سورة المائدة، الآية 60.

3- سورة طه، الآية 79.

4- سورة الفيل، الآية 2.

5- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، 15 مجلد، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.ق، ج11 ؛ ص390.

6- ابن سيده، على بن اسماعيل، المحكم و المحيط الأعظم، 11مجلد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.ق، ج8 ؛ ص153.

7- الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، التعريفات، صفحة 60.

8- موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ص727.
9- معجم مصطلحات أصول الفقه، ص268.
10- سورة البقرة، الآية 108.
11- سورة الأحزاب، الآية 36.
12- سورة الكهف، الآية 103-104.
13- سورة الأعراف، الآية 37.
14- سورة الشعراء، الآية 20.
15- سورة النمل، الآية 14.
16- سورة النحل، الآية 93.
17- سورة البقرة، الآية 18.
18- سورة الأنفال، الآية 48.
19- سورة النحل، الآية 93.
20- سورة المؤمن، الآية 34.
21- سورة المؤمن، الآية 74.
22- سورة الحجر، الآية 39.
23- سورة يوسف، الآية 18.
24- سورة المائدة، الآية 30.
25- سورة الأنعام، الآية 140.
26- سورة البقرة، الآية 170.
27- القشيرى، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الاشارات : التفسير الصوفى كامل للقرآن الكريم، ثلاث مجلّدات، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - قاهرة، الطبعة: 3، 2000 م، ج1، ص147.
28- سورة الإسراء، الآية 36.
29- سورة يونس، الآية 36.
30- سورة اسراء، الآية 72.
31- سورة المائدة ، الآية 77.
32- سورة النجم، الآية 29-30.
33- الطوسي، مُحَمَّد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، 10 مجلّدات، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، الطبعة: 1، ج9، ص431.
34- سورة المؤمنون ، الآية 106-108.
35- سورة آل عمران ، الآية 7.
36- سورة الشورى، الآية 18.

37- مكارم الشيرازى، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 20مجلّد، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) – ايران – قم، الطبعة: 1، 1421 هـ.ق، ج15، ص499.

38- تفسير المراغي، المجلد الخامس و العشرون، ص 32.

39- سورة المؤمنون ، الآية 105-106.

40- الطباطبايي، مُحَمَّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، 20مجلد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – لبنان – بيروت، الطبعة: 2، 1390 هـ.ق، ج15، ص70.

41- سورة الأعراف ، الآية 149.

42- الطبراني، سليمان بن احمد، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم (الطبرانى)، ستّة مجلّدات، دار الكتاب الثقافي – اردن – اربد، الطبعة: 1، 2008 م، ج3، ص197.

43- سورة المؤمنون، الآية 103-106.

44- سورة الأعراف، الآية 186.

45- أنظر: جامع البيان في تفسير القرآن ج9، ص93.

46- سورة ق، الآية 27.

47- أنظر: السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، ثلاثة مجلّدات، دار الفكر – لبنان – بيروت، الطبعة: 1، 1416 هـ.ق، ج3، ص336.

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، 15 مجلد، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.ق
3. ابن سيده، على بن اسماعيل، المحكم و المحيط الأعظم، 11مجلد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.ق
4. الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، التعريفات ، طهران إيران، 1370ش، ناصر خسرو، الطبعة الرابعة.
5. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، بيروت لبنان، 1998م، الطبعة الأولى.
6. معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر، دمشق سورية، ثلاثة مجلّدات، 1427ق.
7. القشيرى، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الاشارات : التفسير الصوفى كامل للقرآن الكريم، ثلاث مجلّدات، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - قاهرة، الطبعة: 3، 2000 م،
8. الطوسي، مُحَمَّد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، 10 مجلّدات، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، الطبعة: 1.
9. مكارم شيرازى، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 20مجلّد، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - ايران - قم، الطبعة: 1، 1421 هـ.ق.

10. المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ثلاثين مجلّد، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى.
11. الطباطبايي، مُحَمَّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، 20مجلد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان - بيروت، الطبعة: 2، 1390 هـ.ق.
12. الطبراني، سليمان بن احمد، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم (الطبرانى)، ستّة مجلّدات، دار الكتاب الثقافي - اردن - اربد، الطبعة: 1، 2008 م.
13. الطبري مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، 30مجلّد، دار المعرفة، لبنان بيروت 1412هـ.ق.
14. الإيجي مُحَمَّد عبد الرحمن، جامع البيان في تفسير القرآن، أربعة مجلّدات، دار الكتب العلميّة، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، لبنان بيروت، 1424هـ.ق، الطبعة الأولى.
14. السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، ثلاثة مجلّدات، دار الفكر - لبنان - بيروت، الطبعة: 1، 1416 هـ.ق.

15. Al-Bahadli, salman kazem sudkhan, Al-Ghanimah between the linguistic significance and the legal concept, a comparative study, misan sournal of academic studies, vol, 136 Issu, 35, 2018.

16. **Yahya**, **Mustafa Zaki**, **Alia Building**, **misan sournal of academic** studies, vol, 10 Issu, 40, 2021.